المجلد: 16 العدد: 3 الجزء: 2 في (2024 /7/1) Lark Journal
وقائع المؤتمر العلمي الثامن لكلية الاداب – جامعة واسط، بالتعاون مع مجلة لارك تحت شعار (المسارات المعرفية للعلوم الانسانية والاجتماعية الواقع وآفاق الريادة، المنعقد بتاريخ (2024/4/23)

ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Murooj Abdul-Kadhim Shahir
University: Wasit University
College: College Of Arts
Email:
murooj.shaher@uowasit.edu.iq

Keywords:
women, institution, novel, sociology.

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	23 Mar 2024
Accepted	14 Jun 2024
Available online	1 Jul 2024

Institutional violence in"Kahinat Maebad 'Uwr" novel by Rasmiah Muhibis A sociological approach

A B S T R A C T

This paper attempts to explore Approaching the features of institutional violence in Rasmiah Muhibis novel "Kahinat Maebad 'Uwr", and highlighting the violations practiced by social, political and cultural institutions in order to achieve their demands and desires and impose authority by force, exclusion and marginalization, and this is what novel texts after (2003) have always approached, as they worked to expose reality and denounce the crimes committed against individuals at all political, social and cultural levels.

The sociological study is one of the influential tools in analyzing the literary text, especially novels , by revealing morals, customs, and social phenomena, because the novel is an experience in which the creator and recipient share the same social class, seeking to reach a solution to the social problems in which the Iraqi/southern society lived, and which were depicted in the novel.

© 2024 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss16.3586

المرأة والمؤسسة في رواية كاهنات معبد أور لرسمية محيبس- مقاربة سوسيولوجية

م.م. مروج عبد الكاظم شاهر/جامعة واسط / كلية الاداب

الخلاصة:

إنَّ الهدف من هذه الدراسة هو مقاربة ملامح العنف المؤسساتي في رواية (كاهنات معبد أور) لرسمية محيبس, والتنويه بما تمارسه المؤسسات الاجتماعية والسياسية والثقافية من انتهاكات في سبيل تحقيق مطالبها ورغباتها وفرض السلطة بالقوة والإقصاء والتهميش, وهذا ما دأبت النصوص الروائية بعد 2003 على مقاربته, إذ عملت على تعرية الواقع والتنديد بالجرائم التي مورست ضد الافراد على جميع المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية, فتحولت الكتابة إلى صرخة بعد صمت طويل. وتعد الدراسة السوسيولوجية من الأدوات المؤثرة في تحليل النص الادبي, ولاسيما النص الروائي, عن طريق تحليل الاخلاق والعادات والظواهر الاجتماعية؛ لأنَّ

الرواية تجربة يتشـــارك فيها المبدع والمتلقي ذات الطبقة الاجتماعية, ســـاعية للوصـــول إلى حلٍّ للمشـــكلات الاجتماعية التي عاش فيها المجتمع العراقي/ الجنوبي, والتي صورتها الرواية.

الكلمات المفتاحية: المرأة, المؤسسة, الرواية, السوسيولوجيا.

توطئة:

إنَّ المجتمع العراقي مثله مثل أغلب المجتمعات العربية, التي تتسـلط فيها المؤسـسـات على الافراد, ولبسـط هذه السلطة, فإنها تلجأ إلى أساليب متعددة, يكون العنف على رأسها.

إنَّ التعبير عن واقع الإنسـان بكل صـوره وظيفة من وظائف الأدب, ولا يخلو هذا التعبير -بأي حال من الأحوال- من ضـــرورة جمالية, يســـعى فيها المبدع إلى إظهار ملامح اجتماعية في أعماله, أملا في إحداث تغيير في المجتمع؛ فكما للمجتمع اثره في الأدب؛ كذا للأدب أثره الواضح في المجتمع.

إنَّ ارتباط الخطاب الروائي بالواقع يؤطر الرواية بخلفيات مجتمعية مؤســســـة للكتابة, إذ يســتثمر الروائيون قيم مجتمعاتهم التي ينتمون اليها, معبرين بهذا عن واقعهم بحسـنه وقبحه, لذا يكتبون عن الإنسـان في أسـمى صـوره فضلًا عن أدناها, مسلطين الضوء على المواضيع الاجتماعية الايجابية والسلبية.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

تصور رواية (كاهنات معبد أور) ما تمر به المرأة من آلام, واضطهاد, واستغلال, وتهديد, وقمع, وقتل, مجسدةً فجائع نساء سُحِقنَ تحت مسمى الأعراف والتقاليد والسلطة, فالرواية -بوصـفها جنسًا أدبيًا مرنًا- توظف الواقع بســـلاســـة - ولاســـيما الاجتماعي منه- على وفق رؤية ايديولوجية وفنية, وذلك بالاعتماد على قدرة الروائي وامكانيته في تشـخيص سلبيات المجتمع, وبهذا فإن إدراك الروائي ارتباط الواقع عضـويًا بالمجتمع يجعل من كلِّ عملٍ أدبي وسيلة تعبيرية عن قضية انسانية تشغل الوعي الجمعي(حميد, 1985م, د).

إنَّ الرواية تســهم في تشــكيل ثقافة المجتمع بوصــفها "انتاجا ثقافيا يشــبه غيره من الانتاجات الثقافية لارتباطه بالواقع الاجتماعي, كنشاط يحقق التواصل ويقوم بدور مماثل لما تقوم به الاشكال الاخرى, والتي ينتجها المجتمع ويسـتهلكلها, كشـيء قابل للتداول, تعبيرًا عن الواقع الاجتماعي من جهة, والافكار والصـور والموقف والمكتوب والتي تشـــخص حالات عامة او خاصـــة داخل المجتمع"(الدغمومي, 1991م, 17). وتتكون البنية الاجتماعية بحسـب سـعيد يقطين داخل النص, وذلك بوضـعه في اطار بنية سـوسـيونصـية, تتجلى عن طريق الشـخصـيات, والأحداث, والزمن, فضـــلا عن المكان, إذ تقوم على أســـاس القصـــة بمرجعيات تتصـــل بالواقع في اكثر

الاحيان(يقطين, 2001م, 14). وعلى الرغم من أنَّ النص الروائي تخييلي؛ فإنَّه يجسد العلاقات والقيم الاجتماعية تجسيدًا يمس واقع البنية الاجتماعية.

إنَّ هذه الرواية عبارة عن اشـارات واقعية واجتماعية, وظف الروائي أحداثها بنيةً اجتماعية معيشـة, وهنا تكمن جدلية العلاقة بين المتخيل والواقعي, فالفن الروائي يمتلك نظرة شـمولية للواقع تتجلى رؤى رافضـةً أو ناقدةً أو كلاهما, أي الرفض والنقد, لذا تعرضـت الرواية إلى وضـع المرأة في المجتمع. إنَّ محاولة الروائي صـبغ نصـوصـه بصـبغة اجتماعية, على أسـاس تشـبع القارئ بها وتحويله الكثير من الخطابات إلى خطابات اجتماعية وثقافية عملية تؤكد مواكبة المضـمون الروائي للعصـر, فضـلًا عن محاولة تبليغ المتلقي جزء من رؤاه, إذ إنَّ "المؤلفات الادبية تكتب في الحقيقة وتُقرأ داخل فضـاء اجتماعي من التمثلات الذهنية واللغوية, وهي تمثلات داخل الاعمال وخارجها"(ارون, وفيالا, 2013م, 93). ولا تعنى المقاربة السـوسـيولوجية ببيان الوقائع الاجتماعية التي ينقلها المبدع فحسـب, وإنما تسـعى إلى تحليل علاقة المبدع بعمله, فضـلًا عن العمل الأدبي والمجموعة الاجتماعية, ومن ثم الدلالة الاجتماعية بين المبدع وأعماله.

ولابد من الإشـارة إلى أنَّ مفهوم العنف يتداخل مع العديد من المفاهيم, ولعل من أبرزها مفهومي الار هاب (العكرة, 1983م , 73). والعدوانية (فوزي, 2001م, 34). ويربط (الزاشتر) بين مفهومي العنف والعدوان, فهو يرى بأن العدوان سـلوك يعكس حالة من الصـراع الاجتماعي, يهدف إلى إلحاق أذىً فيزيائي, أو نفسـي, أو اجتماعي(غانم, 2004م, 10). أما الفيلسـوف الانكليزي (طوماس هوبز) فيرى أنَّ أسـباب العنف تعود إلى الطبيعة الانسـانية التي ترى بأن الهجوم وسـيلة لتحقيق المنفعة, وإنه وسـيلة للأمن(ياسـر, 2018م, 32). بينما تنظر المدرسـة الاجتماعية إلى العنف على أنَّه ظاهرة اجتماعية لها أسـباب متعددة: اجتماعية ونفسـية وثقافية واقتصادية, وإنه صنيعة من صنائع المجتمع المريض والسلطة القمعية الجائرة(الحيدري, 2015م, 46).

ويمكن تصـنيف العنف إلى منحيين, الاول هو المنحى الرسـمي الذي يبرر له وينظر له من خلال الدولة أو المؤسسات شبه الرسمية, والمنحى الثاني هو المجتمع الذي يعد مكان ومسرح استعراض تلك الثقافة واخراجها من حيز الأفكار إلى التطبيق العملي في نمطية تمثل الوعي الاجتماعي وثقافته وفهمه للحياة والانسـان"(كريم، 2018م, 189- 290).

وبهذا فإنَّ المؤسسات تمارس سلطتها على الأفراد, ولاسيما الأضعف/ المرأة, فتطالعنا في هذه الرواية نماذج ثلاثة للمرأة المعنفة, قُدِمت في اطار تخيلي, لتبرز البعد الاجتماعي؛ وتكمن أهميتها في طريقة تحليلها, ذلك أنَّ الشخصية تتخذ موقفًا اجتماعيًّا واخلاقيًّا خاصًّا, بوصفها صور لغوية وتعبيرات عن عالم اجتماعي متكامل, وهذه

النماذج الثلاثة تتباين في مواقفها وأحلامها ومبادئها, فمنها النموذج التقليدي المستلب يتمثل في شخصية الجدة بشرى وحمزية وأم علي نزيهة الملاية, ونموذج متمرد يتمثل في الساردة وفتاة النهر وشخصية نهلة بنت السيد وزكية وشخصية خلود, ونموذج متحرر يتمثل في ليلى, ويمكن اجمال العنف الموجه ضد المرأة بالآتي:

أولا: المرأة والمؤسسة الاجتماعية:

من مظاهر العنف الاجتماعي: الاغتصاب, القتل, وزرع الخوف والرعب في النفوس. وتتجلى مظاهر العنف الاجتماعي في الرواية بداية مع مشهد الجثة الطافية على النهر: **"لا ندري جثة من هذه التي تطفو على الماء قرب الجسر... يهتف أحدهم: هذه جثة امرأة بلا رأس"**(محيبس, 2015م, 5). ومن ثم تمتد صور العنف الاجتماعي داخل الرواية عن طريق الظلم الذي وقع على الساردة/ الشخصية الرئيسة.

تتمثل المؤسسة الاجتماعية المؤثرة في واقع المرأة من لبنتين هما:

1: الأسرة

إنَّ العنف الاسري ضد المرأة هو "كل فعل يمثل تدخلا خطيرا في حريتها وحرمانها من التفكير والتقرير ويتجاوز هذا العنف الاذى الجسدي ليشمل الاذى المعنوي والنفسي"(فياض, 2017م, 6). إذ لم يكن من المسموح للفتاة أن تختار شريك حياتها, واذا اكتُشِفَ أنَّها على علاقة بشخص ما, فسرعان ما يتم تزويجها لأول طارق على بابها: **"بشرى... اكتشف أهلها رسائل مهند المشبوبة بالحب كانت نائمة والرسالة بيدها فأضطر أهلها إلى إعلان خطوبتها في اليوم الثاني من جارهم الذي كان قد تقدم لخطبتها دون أن يحظى بجواب"**(محيبس, 2015م, 76). تقمع الأسرة حرية المرأة, فليس لها الحق في الاختيار ولا القرار, ولاسيما اختيار شريك الحياة, فتصبح أمام أمر واقع, وليس أمامها سوى التنفيذ والاذعان.

وقد تكتم حرية المرأة باسم العادات والتقاليد, ليصبح الرجل المتحكم الأول في حياتها, ووسيلة هذا التحكم هو العنف بالدرجة الاولى والاضطهاد الجسدي والمعنوي, ولم يكن بيد الجدة من حيلة -مع تكرار سفر الجد- سوى الرضوخ والصمت, فقد كان الجد انسانًا مثاليًّا ذا مكانة عالية بين الناس, لكنه كثير السفر, واتضح من سفره المتكرر بأنه قد تزوج من امرأة أخرى, فلم تتقبل الجدة التغير الكبير في هذه الشخصية, مما انعكس سلبًا على علاقتها به, فعاشت صدمة عاطفية تصارع فيها الذكريات. وتكسر الجدة النسق اللغوي حينما تلجأ إلى قاموس شعبي, وهذا التوظيف يمثل ادانة قصوى لوضعها, إذ يتمظهر الرابط الادبي الاجتماعي عبر اللهجات

الاجتماعية, فاللغة التي تختص بها الجدة كانت ذات تعبيرات سيميائية تتعارض فيما بينها وبين ايحاءاتها الاجتماعية المصاحبة لها, أي على الصعيدين: التعبيري والمضموني (محيبس, 2015م, 133- 140).

إنَّ الهيمنة الذكورية تمنح لنفسها شرعية ممارسة العنف ضد المرأة, ويختلف العنف من مجتمع لآخر تبعا لمستوى التقدم الحضاري في اجملتمع واضمحلال النظام الابوي في بنيته، فكلما كانت الاسرة ابوية كان العنف الواقع على المرأة اشد واكبر(محمد, 2019م, 114) فتتجرع بذلك مرارة القهر والاضطهاد. إنَّ (زكية) عاشت طفولة مؤلمة على يدي أخيها الأكبر, فقد كان يمارس عليها أشد أنواع العذاب, عندما يكتشف تخطيطاتها الفنية أو كلمات تأتيها عفو الخاطر(محيبس, 2015م, 157). لقد أصيبت بالشلل حين رفعها أخوها في الهواء وطوحها أرضا تاركًا إياها كتلة من لحم ودم على أعقاب مشاجرة مع شقيقتها, ولكنَّها تماثلت للشفاء بكرامة من الامام الكاظم(عليه السلام), ليبدأ فصل جديد من العنف حين آثرت الزواج من رجل رفضته عائلتها, اذاقها أقسى صنوف العذاب النفسي والجسدي(محيبس, 2015م, 158). فاضطرت إلى الانفصال وفي مسؤوليتها اربعة أولاد.

2: المجتمع:

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

على الرغم من أن العادات والتقاليد البالية تعد من مخلفات الماضي؛ فإنَّها لازالت ذات تأثير كبير في الحاضر, وهي جزء لا يتجزأ من شخصية الفرد العراقي, إذ يطالعنا في المشهد الأول من الرواية فتاة من غير رأس يطفو جسدها على الماء, وهذا المنظور يسميه أحد الباحثين باللمسة الختامية لثقافة أبوية- ذكورية(ابراهيم, 2010م, 20-21). لقد حاولت هذه الفتاة التحرر من قيود القبيلة, فلم تحافظ على النموذج المحافظ, فقد ثارت على المجتمع وطرائق تفكيره الموروثة, المحاطة بهالة من الصنمية, مما كلفها حياتها: **"هي ماجدة ابنة أحد شيوخ القرى المجاورة, تزوجت بصورة سريعة, وعادت في اليوم الثاني لأنها رفضت أن يمسها عريسها, وقالت له بالحرف الواحد لا أريدك زوجًا لي. وعندما ضغط عليها طالبا معرفة سبب رفضها له, وعما إذا كانت على علاقة برجل آخر, هزت راسها بالايجاب واعترفت بكل شيء. جرت تصفيتها على أيدي أهلها فهم أسرة لها سطوة ونفوذ على جميع القرى المجاورة"**(محيبس, 2015م, 6). وهذه صورة من صور الكراهية في التقاليد والممارسات الشعبية ضد المرأة"(ابراهيم, 2010م, 20-21).

وأما نهلة بنت السيد, فقد كانت أوفر حظًّا, إذ كانت تحب شابًّا يدعى سعيد, ورفضت اختها الكبرى التي كانت بمثابة أمها زواجها من سعيد, بنيّةِ تزويجها من أحد الاقارب, وكان الناس يبحثون عنها في النهر ظنًّا منهم أنَّها انتحرت, وكفَّ الناس عن البحث إذ اكتشفوا الحيلة, فلم ترد أن يتعقبها أحد: **"عصرًا جاء إلى القرية رجال**

كثيرون قيل أنهم مشـاية لتسـوية الأمر مع أهل نهلة التي أصـبحت عروسًـا لحبيبها"(محيبس, 2015م, 16-18). كسـرت نهلة قيود المجتمع المحافظ على قيم العفة والشـرف بالمفهوم التقليدي, الذي يرفض الزواج المبني على الحب المعلن, فقررت الهرب إلى حبيبها, مقاومة لإرث راسخ من التابوهات.

وعندما تستقل الساردة القطار المتجه نحو البصرة لغرض التقديم إلى الجامعة وتصل هناك, تبرز بعض الأفكار السلبية التي تخص وضع المرأة وتصبح في موضع التطبيق: **"حين وصلنا لم يكن الصباح قد بان وبتنا ما تبقى من ليلتنا تلك في احدى حدائق البصـــرة ونحن نرتجف من البرد لأن أمي كانت تعتبر المبيت في الفنادق عيب وحرام"**(محيبس, 2015م, 31). إنَّ النظام الاجتماعي يرضـــخ لمقولات خاطئة, تحولت فيما بعد إلى افكارٍ راســـخةٍ في الذهب تتبنى من المجتمع في ضـــوء نظامه الذكوري, ومن هذه الأفكار عدم تقبل مبيت المرأة في الفنادق الآمنة, لفكرة مغلوطة في الذهن الجمعي, وتقبل مبيتها في الشارع حيث المخاطر أكبر.

ثانيا: المرأة والمؤسسة السياسية:

يتمثل العنف السياسي بشكلين هما: عنف السلطة/ الدولة, وعنف الجماعات المعارضة, ولما كانت السلطة تمثل القوة التي تأمر وتنهى بوسـيلتين: العنف والقوة, أو الحق والقانون(سـعيد, دت, 242). فإنها تشـرعن العنف الذي تستخدمه – بحق- في اطار النظام القانوني العام(صالح, 2020م, 168). فهو العنف الذي تقره السلطة في سبيل حفظ النظام واستتباب الأمن للمحافظة على هيبة الدولة, لذا فمرتكبوه معفيون من أيَّة مسائلة قانونية أو عقوبة.

إنَّ العنف أداة من أدوات السياسة في فرض وتثبيت الايديولوجيا والمبادئ والسياسة على افراد المجتمع أو فئات معينة منه "وقد يمتد بطش السـلطة الاسـتبدادية إلى مصـير أفراد المجتمع والتحكم في أسـلوب حياتهم وعملهم وعلاقاتهم الاجتماعية, كما تلجأ السلطات الاستبدادية إلى أعمال ارهابية فظيعة كالتضحيات الجسدية للمعارضين والاغتيالات السـياسـية والاختطاف والتعسـف واحتجاز الرهائن والحرق بالنيران والافران الكهربائية والقيام بمجازر جماعية وغيرها"(الحيدري, 2015م, 46). ولعل من أبرز صـور عنف المؤسـسـة السـياسـية: الفقر, والسجن.

1: الفقر

برزت ظاهرة الفقر في الرواية في غير مكان منها, إذ تصـف لنا رواية (كاهنات معبد أور) المعاناة الجماعية التي تعيشـها الأسـر التي تقطن تلك البقعة, والفقر حالة اقتصـادية متدنية, لا يحصـل فيها الفرد على الدخل المالي

الكافي الذي يضـــمن له كفاف العيش, مما لا يؤمن له الحد الأدنى من حاجاته الأســـاســـية من الغذاء, واللباس, والتعليم, لذلك عُدَّ ظاهرة اقتصادية/ سياسية(عون الله, 2008م, 64).

تسـرد لنا الرواية حالة الأفراد الذين يسـكننون حوض الغراف, إذ لم يكن لديهم دخلًا, أو مهنة ثابتة, فهم يمتهنون صيد السمك, الذي كان يمثل غذاءهم الوحيد: **"سمك سمك سمك كل يوم نأكل السمك...حت أنَّ أُمي أحياناَ تقوم بشـي السـمك صـباحًا لفطور أبي"**(محيبس, 2015م, 21). وحين قل ماء النهر, وشـح الحصـول على السـمك, لجأت النساء إلى ما قمن بتجفيفه من الاسماك, ريثما يعود الصيد إلى سابق عهده: **"كانت رائحة السمك تهب من البيوت الطينية وهو الوجبة الوحيدة...حين يشـح النهر... نتعمد النسـاء إلى السـمك المجفف على حبال الفقر لتعمل منه وجبة طعام وتتصـــاعد رائحة عفنة من البيوت ولكن الافواه تلتهم كل ما يقدم اليها"**(محيبس, 2015م, 29). تصـف السـاردة حالة الفقر الشـديد الذي يحيط بتلك العوائل القاطنة في حوض الغراف, ولكن هذا الفقر لم يكن ليمنعهم عن مواصلة التعلم والالتحاق بصفوف الدراسة رغم المعوقات: **"رغم الفقر والحرمان...كنا نقطع الطريق بين البدعة والشـطرة ونحن نركض لنلحق بالدوام لأننا لا نملك اجرة السـيارة ونحن نرتجف من البرد"**(محيبس, 2015م27- 28). فترسـم السـاردة مشـهدًا مؤثرًا لأطفال يركضـون مرتجفين من البرد, ليلتحقوا بمدارسهم, قاطعين طريق بعيدة, لعدم امتلاكهم أجره سيارة تقلهم إلى مقصدهم.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

يتبدى الفقر والعوز والألم واضـــحًا في حكاية حمزية, التي كانت امرأة فقيرة مصـــابة بورم في رقبتها يتحتم استئصاله, وتحتاج إلى عملية جراحية في مستشفى أهلي؛ لأنَّ المستشفى الحكومي لا يوفر مستلزمات العملية, فيدور حوار بين الساردة والطبيب يوضح هذه المعضلة:

ـ لم لا تجري لها العملية على نفقة المستشفى؟

ـ لا هذا غير ممكن هناك أمور تتوفر في المستشفى الاهلي تحتاجها العملية من بنك عام وغيرها من الامور لا تتوفر عندنا في المستشفى الحكومي.

ـلكن قد تموت المسكينة إنها في حالة خطرة ولا تعي ما يحدث لها المفروض اعادتها إلى المستشفى.

عادت حمزية وقد ازدادت حالتها سوءً, ووجهها شـحوبا, وجسـدها ضـمورًا واضـمحلالًا, واسـتطاعت أن توفر مبلغ العملية الجراحية ببيعها المواد الغذائية وبعض حاجات المنزل, وتوفير مبلغ اخر تمنحه لكبيرة الممرضات من أجل السـماح لها بالمكوث أيامًا اضـافيةً في المسـتشـفى مع الاهتمام بها(محيبس, 2015م, 116- 117). أُجرِيت العملية الجراحية بنجاح لكن كانت هنالك حقن خاصـــة وحاجة إلى متبرع بالدم, لم يكن أحد من عائلتها

موجودًا, تبرع أحد الممرضين الشباب, لكن حمزية توفيت ولم تسعفها الدماء الفتية(محيبس, 2015م, 118-119). ماتت حمزية تاركةَ صغيرها, الذي تولى خاله مسؤولية رعايته, ليصبح بعد سنوات طبيبًا مخلصًا, وهنا يتأكد دور المرأة المضحية في آن معًا, فهي تضحي بكل شيء من أجل أسرتها, ولكنها تصبح ضحية الفقر الذي انتجته الممارسات السياسية الخاطئة.

2:السجن:

في هذا الرواية يتم توظيف السجن على مستوين: مستوى مباشر بتجربة ذاتية هو ما عانته الساردة حين اقتيدت إلى السجن ظلما بوشاية, وبصورة غير مباشرة ما سمعته الساردة من قصص السجينات, وما عانوه من مرارة وظلاميته.

تروي الساردة حكاية اعتقالها بمؤامرة من زميلاتها في المدرسة, حين عرضن عليها الانتماء لصفوف حزب النظام آنذاك: **"انفردت بي إحدى المعلمات... ثم طلب مني أن أنظم لتنظيم الحزب القائد في المدرسة... رفضت الطلب بمنتهى البساطة... دفعوا بإحدى المعلمات للمشاجرة معي... فوشت بي هذه إلى المديرة التي أوصلته إلى المسؤولين بأني متمردة أتكلم عن الحزب بكلام أشتم المسؤولين و أتجاوز على حزب السلطة"**(محيبس, 2015م, 35- 36). إنَّ تهمة التمرد والكلام على الحزب بسوء, كانت من التهم الجاهزة التي تلقى على أي شخص بنية ايذائهِ.

وكانت سجينة أخرى لم تبلغ العشرين من العمر على علاقة بشخص تقدم لخطبتها, فرُفِضَ من أهلها, ودخلت معه في علاقة محمومة, ولكن قد افتضح أمرها عندما أُمسِكَ بهما متلبسين: **"لا أعرف كيف نجوت من القتل ووصلت إلى هنا"**(محيبس, 2015م, 41-42). تخاف هذه الفتاة أن تعرف أحدى السجينات قصتها, فتتعرض لمضايقات الشرطة ورجال المخابرات فينالون منها, إذ إنها لا تعرف مكانا آخر للعيش عدا السجن, الذي أضحى ملاذها الوحيد, فالموت المحسوم, ينتظرها حال خروجها من السجن على أيدي أهلها أو أحد أقربائها(محيبس, 2015م, 42- 43).

وكانت في السجن امرأة ثالثة, لم تسجن لقضية أخلاقية كمثيلاتها, تنكمش على نفسها, تحذر السجيناتُ الساردةَ من الاقتراب منها؛ لأنها مجنونة كما يصفنها, وكما تصف هي نفسها: **"لا تقتربي مني انني مجنونة ومجرمة لقد خنقت طفلي بيديّ هاتين..... هصرته بين ذراعيّ حتى أصبح جثة هامدة.. لا أعرف لم فعلت ذلك فقد كنت أحبه جدًا حتى إني لا أستطيع أن أغمض عيني بليل ولا نهار خوف أن يستيقظ ويبكي كان جميلًا فوق ما**

تتخيلين"(محيبس, 2015م, 44). هي مريضة نفسية بحاجة إلى رعاية, وأن تخضع لفحص نفسي, وقد خضعت إلى سلسلة من التعذيب الجسدي والنفسي على ايدي رجال الشرطة والمخابرات, ولكنها كانت تجد الراحة من ألمها الروحي وعذابها الداخلي في هذا التعذيب إذ تشعر بأنها تستحقه(محيبس, 2015م, 44-45). ولم تحاول هذه السجينة أن تبين بانها ليست مجنونة, بل كانت مقتنعة بالجنون, لم تعي معاناتها من حالة اكتئاب, ثم زاد السجن من قهرها وحزنها.

ثمة فتاة رابعة, استأثرت بفصل كامل من الرواية بعنوان (خلود), وكأن حكاية خلود لا يمكن أن تكون إلا في سياق منفصل عن باقي السجينات, فقد عصف بها حب لاحقته كالمسحورة إلى مدينة غريبة, لتجد نفسها هناك وحيدة وتائهة, فبقيت في حيرة من أمرها هل تعود إلى بيتها؟ وبماذا تجيب من يسألها أين كنت؟ ولكنها آثرت البقاء لتمتد اليها يد الرحمة من شاب غريب تزوجها, وما كان الفرح ليستمر فقد وجدها أهلها, اقتادوها وصغيرها, ومن قبلها زوجها إلى السجن, هراوات ثقيلة تهوى على جسدها, تتحسر عليها نساء السجن, سيكون الموت مصيرها, ولكن ما مصير طفلها؟ يعود زوجها يسأل عنها, بحث عنها كثيرا في مدينتها لم يدله أحد, بحث في اقسام السجن والمستشفيات فعرف بالفاجعة, وأنَّ أخاها في السجن وسينال عقوبته, وأنَّ الطفل في ملجأ الأيتام(محيبس, 2015م, 51, 52). نلحظ في هذا النص أن المرأة هي الحلقة الأضعف في المجتمع, إذ تتحل تبعات العنف الأسري, الذي يمكن أن يؤدي بها الموت من غير اكتراث إلى الصفة الشرعية التي جمعت بينها وبين زوجها.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ثالثا: المرأة والمؤسسة الثقافية:

إنَّ العنف الثقافي المبني على ثقافة ما, هو عنف غير مباشر, يختلط بالثقافة, ليبرر العنف المباشر, فتجد المؤسسة الثقافية العذر الكافي لشرعنته, بتبرير تمظهراته مثل القتل, والتهميش, ومصادرة حرية المثقف(الخليل, 2016, 248). فتصطدم الشخصية المثقفة بالواقع والمجتمع والسلطة, بامتلاكها قدر من المعرفة مما يمتحها القدرة على المواجهة والتخطي.

عدَّت الساردة الكتابة ملجأ لها, ولتثبت مقدرتها على مواجهة الحياة خرجت إلى الساحة الادبية, متجاوزة بذلك السلطة الذكورية, فأبهرت الكثير من الادباء دون تقديم تنازلات كما فعلت الكثيرات, وفي هذا السياق تطالعنا شخصيات ثلاث, ليلى والساردة/ رسمية, وزكية, مختلفات بالقرار ومتباينات بالمصير, فالأولى (ليلى) شاعرة ورسامة وقاصة تزوجت من رجل نبيل, لم يكن متسلطا ولا رافضًا للشعر, ولكن ضمن الحدود الاجتماعية المقبولة, فهو لم يمنعها من القراءة والكتابة والرسم: **"ان زوجي متفهم وقد جلب لي حاسوبا وقال لي بإمكانك**

أن تكتبي كل ما يخطر في بالك لكن احدري أن يطلع على ذلك أحد أفراد الأسـرة"(محيبس, 2015م, 152). فلم تتمكن –على مسـتوى الوعي- من التماهي مع البيئة الاجتماعية والثقافية الجديدة إذ كانت تحاول الخروج من الشـرنقة التي التفت حولها, فقد رغبت في مسـتوى آخر من الحرية؛ وذلك بالخروج إلى المنتديات الثقافية والشعرية الامر الذي رفضه زوجها رفضا قاطعا, وأصبحت معروفة على مستوى البلد, بعد أن تسللت بعض كتاباتها وحظيت الاعجاب وبالآراء حول تجربتها الشـعرية والادبية(محيبس, 2015م, 153). انفصـلت عن زوجها سـريعا محاولة الارتباط بصـديق كانت على علاقة به: **"اقترنت برجل آخر وإنها نقلت نقلة نوعية وغيرت حياتها فهي الآن زوجة شـاعر وتسـكن في بغداد وما ادراك ما بغداد"**(محيبس, 2015م,145-155). أدخلها إلى الوسـط الثقافي, لترافقه في السـهرات والحفلات الادبية والثقافية, فتحولت إلى فتاة موديل تنافس عارضـات الازياء معرضـة عن الماضـي, فكانت تحضـر الجلسـات الادبية فتشـاكس غيرها من الكاتبات وتظهر استياءها مما يكتبن(محيبس, 2015م, 155). لكن دون نتاج فني حقيقي, لتصبح مجرد ناقدة انطباعية تبدي رأيها بلا أسس معرفية, ولكن بطريقة أقرب ما تكون إلى التجريح منه إلى النقد.

أما الشخصية الثانية, فهي الساردة التي أصابها الاحباط؛ لاحتكار المؤسسات الثقافية من قبل أصحاب المصالح من الأقليات المسـيطرة على المؤسـسـة, مما جعلها تشـعر بالظلم وحتى التفاوت الطبقي والاجتماعي(محيبس, 2015م, 142- 143). ومن ثم انعدام الثقة بالنفس والموهبة(محيبس, 2015م, 124). فقد همّت لمرات عديدة بالتراجع والانسـحاب, والتخلي عن احلامها, والركون إلى الصـمت(محيبس, 2015م, 143). إذ ترتجف الورقة في يدها ويرتجف صـوتها قبيل وصـولها إلى فقرتها الشـعرية, فلم تكن الكلمات والموهبة كافيتين للوصـول إلى الشـهرة: **"اعتلت المنصـة احدى الفتيات وقد ازدحم حولها أصـحاب الكاميرات وكل يحاول أن يحظى بلقاء مع تلك الحسناء التي جذبت الانظار بثوبها الابيض الطويل وشعرها المتناثر. صرح احدهم... انها شاعرة مهمة... اتضح انها مسنودة بقوة لكن هذا لم يصمد طويلا فسرعان ما ضاعت أخبارها وتلاشت مرة واحدة..."**(محيبس, 2015م, 146).

والشخصية الثالثة كانت (زكية), التي عادت إلى الصحافة, ضمن مِلاك جريدة الزوراء التي يرأسها عدي صدام حسـين, وكُلفت بعمل حوار مع مدير متحف السـاعة, لتكون أسـألتها أشـبه بقنبلة فيطلب المدير منها الانصـراف(محيبس, 2015م, 158). لكن الموضـوع لم ينته عند هذا الحد, فقد تعرضـت للتحقيق في اللجنة الاولمبية, وعُذبت بالضـرب والصـعقات الكهربائية, لتعترف على الجهة التي دفعتها لتقول ما قالته(محيبس, 2015م, 159). ولم تبرز (زكية) إلى المشـهد الثقافي بعد سـقوط النظام السـابق؛ لإيمانها بأن ذلك يتطلب نفاقا

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ومجاملات(محيبس, 2015م, 159). ولم تلاحق طموحها, بل فضلت البقاء في شقة تضيق بأحلامها وأحلام ابنائها, مفضلةً أسرتها.

الخاتمة:

عبرت الرواية عن واقع المرأة الاجتماعي, ولا سيما العنف المؤسساتي المسلط عليها في محاولة للكشف والتعرية, إذ تربط الرواية بين مرحلتين غنيتين بالأحداث الاجتماعية والسياسية والثقافية, واتخذت من العنف الممنهج ضد المرأة منهلا لسرديتها وما تستعمله المؤسسة لشرعنة تسلطها.

وقد أبرزت الرواية المرأة ضحيةً للأنظمة المسيطرة (الأبوية, والسياسية, والاجتماعية, والثقافية), وكانت الصفة المشتركة التي جمعت بين شخصيات الرواية النسوية أنَّهنَّ من ضحايا العنف المؤسسي.

إنَّ الرواية مدار البحث كشفت صورة المرأة الضحية عن طريق سرد حكاية النساء الضحايا بشكل متقارب مع ربط هذه الحكايات بروابط كثيرة يكون أساسها شخصية المرأة الضحية, وعلاقتها بشخصية أخرى كانت هي الأخرى ضحية.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المصادر:

– ابراهيم, عبد الله, (2010م), لسرد النسوي- الثقافة الابوية, الهوية الانثوية والجسد, دط, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت.

– ارون, بول, و فيالا, الان (2013م), سوسيولوجيا الادب, تر: د. محمد علي مقلد, ط1 دار الكتاب الجديد.

– بومخلوف, محمد,(2002م), التوطن الصناعي قضاياه المعاصرة, ط1, دار الائمة للطباعة والتوزيع, الجزائر.

– حبيلة, الشريف, (2010م), الراوية والعنف, دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة, ط1, عالم الكتب الحديث, اربد.

– حميد, لحميداني, (1985م), الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي دراسة بنيوية تكوينية, ط1, دار الثقافة, المغرب.

– الحيدري, ابراهيم, (2015م), سوسيولوجيا العنف والارهاب, دار الساقي, بيروت.

– خليل, ابراهيم, (2010م), بنية النص الروائي, ط1, منشورات الاختلاف, الجزائر.

– الخليل, سمير, (2016م), دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي, دط, دار الكتب العلمية, بيروت.

– الدغمومي, محمد, (1991م), الرواية المغربية والتغير الاجتماعي, دط, الدار البيضاء, افريقيا الشرق.

– سعيد, جلال الدين, (دت), معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية, دط, دار الجنوب للنشر, تونس.

– العكرة, ادونيس, (1983م), الارهاب السياسي بحث في اصول الظاهرة وابعادها الانسانية, دط, دار الطليعة للطباعة والنشر, بيروت.

– عون الله, عبد الهادي, (2008م), الفقر ظاهرة اقتصادية سياسية, مجلة الدفاع الوطني اللبناني, كلية العلوم الاقتصادية وادارة الاعمال, الجامعة اللبنانية, العدد 64.

– غانم, عبد الغني, (2004م), جرائم العنف وسبل المواجهة, ط1, جامعة نايف العربية للعلوم الامنية, الرياض.

– فوزي, عصام , (2001م), مستويات الميل إلى العنف والسلوك العدواني لدى طلبة جامعة فيلاديلفيا وعلاقتها الارتباطية بمتغيرات الجنس, مجلة العلوم التربوية, ع:1, مج: 28, عمان الاردن.

– فياض, حسام الدين, (2017م), العنف ضد المرأة- الاغتصاب انموذجا, نحو علم اجتماع تنوري, 17 سبتمبر.

– كريم, طالب محمد. (2018). مفهوم العنف في التاريخ العربي المعاصر من منظور فلسفي. لارك ، 10 (3). https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss30.263.

– محمد, أنيس شهيد. (2019). العنف الاسري والمرأة العاملة دراسة ميدانية في مدينة الديوانية, لارك، 11(4) https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss34.1099.

– محيبس, رسمية, (2015م), كاهنات معبد أور, ط1, الروسم للصحافة والنشر والتوزيع, بغداد.

– مصطفى صالح, عصام الدين (2020م), الارهاب المعلوماتي بين صناعة ثقافة الخوف ووسائل التصدي للارهاب الالكتروني ومدى تأثير تكنولوجيا الاتصال والاعلام على الجمهور, دط, دار الفكر الجامعي للطباعة والنشر والتوزيع, مصر.

– ياسر, انس كاظم, (2018م), العنف في الرسم العراقي المعاصر, مجلة الاكاديمي, عدد 87.

– يقطين, سعيد (2001م), انفتاح النص الروائي, ط2, المركز الثقافي العربي, بيروت.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

References

– Al-Akra, Adonis, (1983), Political Terrorism: A Study of the Origins of the Phenomenon and Its Human Dimensions, ed., Dar Al-Tali'ah for Printing and Publishing, Beirut.

– Al-Daghmoumi, Muhammad, (1991), The Moroccan Novel and Social Change, Ed., Casablanca, East Africa.

– Al-Haidari, Ibrahim, (2015), Sociology of Violence and Terrorism, Dar Al-Saqi, Beirut.

– Al-Khalil, Samir, (2016), Guide to Terms of Cultural Studies and Cultural Criticism, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut.

– Aoun Allah, Abdel Hadi, (2008), Poverty is a political economic phenomenon, Lebanese National Defense Journal, Faculty of Economic Sciences and Business Administration, Lebanese University, Issue 64.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

– Aron, Paul, and Fiala, Alan (2013), Sociology of Literature, ed.: Dr. Muhammad Ali Muqallid, 1st edition, New Book House.

– Boumakhlouf, Muhammad, (2002), Industrial Localization and its Contemporary Issues, 1st edition, Dar Al-Imah for Printing and Distribution, Algeria.

– Fawzi, Issam, (2001), levels of inclination to violence and aggressive behavior among students at Philadelphia University and their correlation with gender variables, Journal of Educational Sciences, Issue: 1, Volume: 28, Amman, Jordan.

– Fayyad, Hossam El-Din, (2017), Violence against women - rape as a model, Towards an enlightened sociology, September 17.

– Ghanem, Abdul Ghani, (2004), Violent Crimes and Ways of Confrontation, 1st edition, Naif Arab University for Security Sciences, Riyadh.

– Habila, Al-Sharif, (2010), The Narrator and Violence, a sociological study in the contemporary Algerian novel, 1st edition, Modern World of Books, Irbid.

– Hamid, Lahmidani, (1985), The Moroccan Novel and the Vision of Social Reality, a Formative Structural Study, 1st edition, House of Culture, Morocco.

– Ibrahim, Abdullah, (2010), Feminist Narrative - Patriarchal Culture, Female Identity and the Body, ed., Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut.

– Karim, Talib Muhammad. (2018). The concept of violence in contemporary Arab history from a philosophical perspective. Lark, 10(3). https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss30.263

– Khalil, Ibrahim, (2010), The Structure of the Narrative Text, 1st edition, Al-Kifaq Publications, Algeria.

– Muhaibis, Rasmiya, (2015), Kahinat Maebad 'Uwr, 1st edition, Al-Rossum Press, Publishing and Distribution, Baghdad.

– Muhammad, Anis Shahid. (2019). Domestic violence and working women, a field study in the city of Diwaniyah, Lark, 11(4) https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss34.1099.

– Mustafa Saleh, Essam El-Din (2020), Information terrorism between creating a culture of fear and means of confronting electronic terrorism and the extent of the impact of communication technology and media on the public, Dar Al-Fikr University for Printing, Publishing and Distribution, Egypt.

– Saeed, Jalal al-Din, (dt), Dictionary of Philosophical Terms and Evidence, dt., Dar al-Janoub Publishing House, Tunisia.

– Yaqtin, Saeed (2001), The Openness of the Narrative Text, 2nd edition, Arab Cultural Center, Beirut.

– Yasser, Anas Kazem, (2018), Violence in Contemporary Iraqi Painting, Al-Academi Magazine, No. 87.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية